Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكأبي موسى الحامض الذي كان يتعصَّب على البصريين مع أنه خلط القولين[1] على عكس ابن كيسان الذي كان ميله إلى مذهب البصريين أكثر[2] .

فجلّ شيوخ الزجاجي إذاً ممن خلط المذهبين ، وإن كان لبعضهم ميل إلى آراء البصريين أو الكوفيين . وهو لا يختلف عن هؤلاء الأساتيذ الأحرار الذين لم تستعبدهم أقوال فئة معينة من النحاة ، وإنما كانوا يطَّلعون على القولين ، ويختارون من المذهبين .

لقد كان الزجاجي مستقلّ الشخصية حرّ الفكر لا هو بالبصريّ المحض ، ولا بالكوفي المحض ؛ يرى الرأي فلا يخشى أن يخالف فيه من سبقه كوفياً كان أو بصرياً . وقد يذكر الرأيين ثم ينعت أحدهما بما يدلّ على تأييده للثاني ؛ كأن يقول : « وإن قلت كذا كان قبيحاً . وأهل البصرة لا يجيزونه »[3] . أو يقول بعد ذكر رأيه : « هذا هو الوجه الجيّد »[4] . وقد يعرض لأكثر من رأي واحد ، فيصنّف الآراء تصنيفاً يسير فيه بحسب القوة والضعف في رأيه ، كأن يقول : « الأجود في هذا الباب كذا ، وبعد ذلك كذا .... ودون ذلك كلّه كذا .. »[5] .

وأما إذا أردنا أن نتعرَّف مذهب الزجاجي النحوي من خلال استعماله للمصطلحات ـ وقد كان لكل من البصريين والكوفيين مصطلحاتهم ـ فإننا نجده العالم العدْل الذي لا تهمّه الأسماء ، بل يهمّه أن يوضح مراده ، ويُدني المعنى من الفهم ، فنراه يستعمل الأسماء المختلفة للمسمَّى الواحد ، كقوله : « الفصل ويسمّيه الكوفيون العِماد »[6] . ونراه يصرّح بتغيير ألفاظ الذين يحكي عنهم فيقول : « وإنما

---

(١) بغية الوعاة ٢٦٢

(٢) طبقات الزبيدي ١٧٠

(٣) الجمل ١٥٠ .

(٤) الجمل ١٦٩ .

(٥) الجمل ٢١٨ .

(٦) الجمل ١٥٢ .